## الظواهر الفنية فى شعر خرنق

صاحبة الديوان غير شهيرة؛ حيث كان العصر الجاهلى لا يسمح لمثيلاتها بالتربع على عرش الشهرة، ولا غرو فهو العصر الذى وأد الفتاة، وهضم حقوق المرأة، وعاملها معاملة السائمة، فكانت تُملك ولا تَملك، وتورث ولا ترث، ولقد نعى القرآن ذلك فقال – تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ سورة التكوير.

وإذا كان عدد وفير من الشعراء الرجال الذين عاشوا فى الجاهلية، ولابد أنهم كان لهم شأن كبير فى هذه الحقبة وذلك العصر ومع هذا بخل علينا الزمان بأخبارهم فلا غرو أن يضن التاريخ علينا بأخبار شاعرة «كخرنق بنت بدر»، كما أن شأن النساء كان محدودا فى ذلك العصر.

و«خرنق» لم تنظم الشعر فى غير ظاهرتين من الظواهر الفنية وهما: «الرثاء والهجاء».

أما الرثاء: فقد أوقفته أو كادت على رثاء زوجها، والذى قتل فى غارة له على «بنى أسد» عند عقبة لهم تسمى «قُلاب»، وهو

يوم أغار فيه «بشر بن عمرو بن مرثد» زوج «خرنق» على بنى أسد فقتلوه، فرثته بهذه الأبيات:

**أعازلتى على رزء أفيقـــى فقد أشرقتنى بالعذل ريقـــى**
**ألا أقسمت آسى بعد «بشـر» على حىّ يموت ولا صديـــق**

وهــذان البيتان جاءا فى غاية الروعة والتصوير، حيث تعالن «خرنق» العذال أن يخففوا وطأة العزل واللوم، فلقد رزئت بمصيبة جلل، وخطب جسـيم، ولقـد آلت ألا تحزن بعد «بشـر» على أحد، كما أننا نلمس من شعر الخرنق فى رثائها لزوجها بالوفاء؛ حيث إنها أعلنت أنها لن تحزن على حىّ يموت ولا صديق بعد رحيل «بشر»، ثم تقول:

**وبعد الخير «علقمة بن بشر» إذا ترت النفوس إلى الحلـوق**
**وبعد بنى طبيعـة حـــول كما مال الجذوع من الحريـق**

فلقد شــبهت الشاعرة من صرع من أهل «بشر» حوله بالجذوع التى قد مالت بالاحتراق، كما قال الآخر:

**ألا من رأى قومى كأن سراتهم نخيل أتاها عاصف فأمالهـا**
**منت لهم بوالبـة المنايـــا بجنب «قلاب» للحين المسوق**
**فكم «بقلاب» من أوصال خرق أخى ثقة وجمجمة فليـــق**

**ندامى للملوك إذا لقوهـــم حبوا وسقوا بكأسهم الرحيق**
**هم جدعوا الأنوف وأوعبوها فما ينساغ لى من بعد ريـــق**
**وبيض قد قعدن وكل كحـــل بأعينهن أصبح لا يليـــق[1]**

والمعنـــى: لكثرة ما يبكين على من فقدن من رجالهن لا يبقى فـــى أعينهن كحل، فإن الدموع التى يذرفنها على هؤلاء الرجال تمحـــو الكحل الذى وضعنه فى أعينهن للزينة، وذلك دليل على غزارة الدمع المنهمر من العيون، كما أنه دليل على الأسى العميق والحزن الشديد، ثم يقول:

**أضاع بضوعهن الصاب «بشر» وطعنة قاتل فمتـــى تفيـــق**

وقالت «خرنق» ترثى «بشرا» ومن قتل معه فى يوم «قُلاب»:

**لا يبعدن قومى الذين هـــم سم العداة وآفـــة الجـــزر**

تقول الشـــاعرة: إن هـــؤلاء القوم لأعدائهم كالســـم، وهم آفة الجـــزر حيث كانوا يكثرون من نحرها للضيفان، ولا يجفون على شىء منها، فكانوا كالآفات بالنسبة لما ينحرونه للضيوف من إبل وغيرهـــا، ثم تقول: إنهم أعفاء الفروج، وإنهم ينزلون عن الخيل عـــن ضيق المعترك، فيقاتلـــون على أقدامهم، وفـــى ذلك الوقت

---

(١) الأســى: الحزن، يقال: آســيت على الشىء آسى إذا حزنت عليه – والبة: حىّ من بنى أســد – قلاب: اســم جبل – الخرق: الجواد الـذى يتخرق بالمعروف، ومعنى يتخرق بالمعروف: يتسع فيه.

يتداعون، وهم موصوفون بالعفة طيبون؛ لأن العرب تكنى بالشيء عما يحويه ويشتمل عليه، فتقول:

**النازلون بكـــل معتـــرك والطيبيـــن معاقـــد الأزر**

ثـم تقول: إنهم فرسـان مغاويـر؛ حيث يضربـون ويقاتلون الأعداء فى حومة الحرب والطاعنون بأذرع شعر، فتقول:

**الضاربون بحومـة نزلـت والطاعنون بأذرع شعـــر[1]**

**والخالطون نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر[2]**

ثم تقول «خرنق»: إن شـربوا وصبوا، وإن تركوا الشراب وعظ بعضهم بعضا وتواصوا بعدم النطق بالفحش، فنراها تقول:

**إن شربوا يهبوا وإن يـذروا يتواعظوا عن منطق الهجر[3]**

كمـا تقول: إن هؤلاء عددهم كثير، فإذا ركبوا الأمر اختلطت أصواتهم حتى تكاد لا تفهم شيئا مما يقولون، وذلك من التصويت

---

(١) يـروى: الضاربـون والطاعنون، كما يروى: النازلـون والطيبون. والبيت من الشـواهد النحوية على قطع النعت، ولذلك تعـددت رواياته وكثرت المصادر النحوية التى أوردته.

الأزر: جمع إزار – والمعاقد: موضع عقد الإزار والضاربين والطاعنين.

(٢) النحيت: الساقط الخامل الذكر – والنضار: الرفيع، يقول: فلا يرغب شريفهم عن وضيعهم، وفى اللسان: النحيت: الدخيل فى القوم، والنضار: الخالص النسب.

(٣) الهجر: المنطق الفاحش.

والصيـاح وزجرهم الخيل، وهذا تشـبيه فى غايـة الروعة؛ فقد اسـتطاعت الشاعرة أن ترسـم صورة واضحة ومعبرة لهؤلاء القوم الذين كثر عددهم بحيث لا تستطيع أن تميز أصواتهم أو تتعرف علـى ما يقولون لكثرتهـم الفائقة وحركة مـا يركبون من خيول للقتـال، فهى حقا صورة معبرة عـن الحركة واللغط والأصوات، مع يسر فى اللفظ، وقوة فى المعنى، ورحابة فى الخيال، فتقول:

**قوم إذا ركبوا سمعت لهـم لغطا من التأييه والزجـر**[1]

ثـم تقـول: إذا نتجت خيلهـم فرحوا بها، ولكن سـرورهم بالخيـل لا يجعلهـم يخرجون عن الحـدود اللائقة، فلا يجهل أحـد منهم على صاحبة ولا يتطاول عليـه، فتصفهم هنا بالغنى مع التواضع، ويروى البيت:

**وتفاخروا فى غير مجهلـة فى مربط المهرات والمهـر**[2]

وسأظل أمتدحهم وأثنى عليهم ما حييت، فإذا ما ضمنى القبر انقطع ثنائى.

ونحـن نرى أن الثنـاء لا ينقطع بموتها؛ حيث إن شـعرها باق، فهى إن ماتت فلن يموت شعرها، فإذا ضمها القبر وانقطع

---

(١) اللغط: الذى لا يكاد يفهم – والتأييه: التصويت، يقال: أيهت به إذا صحت به – ويعنى بالزجر: زجر الخيل.

(٢) المهرات: جمع مهرة، والمهر: تريد به جنس الأمهار الذكور.

مديحها عنهم فستظل مدائحها خالدة خلود الزمان، وبخاصة أنه من الشعر الجيد، قال الشاعر:

**يموت رديء الشعر من قبل وجيده يبقى وإن مات قائله**

وقالت «خرنق» ترثى «بشرا»:

**ألا لا تفخرن «أسد» علينا بيوم كان حينا فى الكتاب**
**فقد قطعت رؤوس بنى قعين وقد نقعت صدور من شُراب**
**وأردينا «ابن حسحاس» فأضحى تجول بشلوه غبس الذئاب**

تقول «خرنق»: لا يفخر «بنو أسد» علينا بنصرتهم فى يوم على قومى وقتلهم «بشرا»، فالحرب سجال، وإذا كان هؤلاء قد نالوا منا فى يوم «قُلاب» فقد قطعت منهم رؤوس كثيرة، وشفى الغليل، وأثلجت الصدور، وقتلنا «سبع بن حسحاس» وجالت بأشلائه الذئاب، حيث تفرقت أشلاؤه، وتمزقت أوصاله، وأصبحت طعاما لأسود الشرى، وذئاب الفلوات، فليس هناك مجال للتفاخر علينا أو النيل من كرامتنا، فقد انتقمنا لأنفسنا وثأرنا لشرفنا.

ثم تقول: عندما سمعت «بنو أسد» صياح القوم وهم يتذامرون ويحض بعضهم بعضا على القتال، نفرت «بنو أسد» ولكنها عند النفار واجهت قوما ليسوا بحلفاء، بل هم من خاصة القوم، وهم

صبر عند اللقاء إذا ما ثار النقع وانعقد العشير فوق الرؤوس وبرقت السيوف اللوامع مبددة ذلك الظلام الدامس من شدة القتال، والسيوف لحدتها تحن للعظام، وتقطع الدرع وتنفذ من الخوذة إلى الهام فيقول:

**سمعت «بنو أسد» الصياح فزادها عند اللقاء مع النفار نفارا**
**ورأت فوارس من صليبة وائل صبرا إذا نقع السنابك ثارا[1]**
**بيضا يحززن العظام كأنما يوقدن من حلق المغافر نارا[2]**

وقالت أيضا ترثيه:

**يا رب عيث قد قرى عازب أجش أحوى فى جمادى مطيرى**

وهنا تشبهه «خرنق» بالسحاب الماطر الذى يحدث صوتا مصحوبا بالرعود مع غزارته وانهماره فى الكرم والجود وعلو الهمة وعموم النفع، بيد أنه غيّبه الموت فأصبح ذلك المطر بمنآى عنهم، ثم تصف الشاعرة جواده وأنه فرس قصير الشعر نشيط قوى غليط، فتقول:

---

(١) صليبة وائل: يعنى من أصولهم وليسوا بحلفاء ولا موال.

(٢) البيض: السيوف – المغافر: جمع مِغْفر بكسر الميم وسكون الغين وفتح الفاء، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، وقيل: هو رفرف الخوذة.
أجش: صوت به رعدة – مطر عازب: بعيد الموقع – والجشة: البحة – أحوى: أسود وهو أغر ولساته.

قاد به أجـــرد ذا ميعـــة عبلا شواه غير كاب عثـــور
فألبس الوحش بما فاتـــه والتقط البيض بجنب السدير
ذاك وقد ما يعجل الباذل الكوماء بالموت تشيـه الحصيـــر[1]
يبغى عليها القوم إذا أرملوا وساء ظن اليلمعى القـــرور

وهــو جواد كريــم ينحر ناقته الكوماء الغليظــة التى اكتنزت لحما وشحما إذا أرملوا وقل زادهم واشتد البرد وكانوا فى حاجة إلى الدفء والطعام.

كما أن الهجاء جاء فى شعرها قليلا، ولعل شعر «خرنق» طواه النســيان وأغفله التاريخ، وقصر الرواة فلم يعنوا بروايته، شأنها شــأن غيرها من النســاء، حيث لم يحظ النســوة فى ذلك العصر باهتمام الرواة والمؤرخين.

ومن شعرها فى الهجاء ما هجت به «عبد عمرو» فقالت:

ألا ثكلتك أمك «عبد عمــرو» أبا الخربات آخيت الملوكــا
هم دحوك للوركيـن دحـــا ولو سألوك لأعطيت البروكا[2]

(١) الباذل: ذكرا كان أو أنثى، وذلك فى الســنة التاسعة أو الثامنة – والكوماء: الناقة العظيمة الســنام طويلة – البيض: المراد به بيض النعام – أرملوا: قل زادهم – القرور: الذى يجد البرد – الصحيح الظن.

(٢) دحوك: دفعوك – دكوك: ضجعوك – المشــيح: الحاد، والمشــيح: الحذر – والمســمل: الحديدة المعترضة من اللجام فى فم الفرس – الخربات: جمع خربة، وهى الفساد فى الدين والخلق.

**ألا سيان ما «عمرو» مشيمـــا  على جرداء مسملها علوكـــا**
**فيومك عند زانيـــة هلـــوك  تظل لرجع مزهرها ضحوكا**

وذلك هجاء مقذع؛ حيث تقول الشـاعرة هاجية «عبد عمرو» فتدعو عليه بالهلاك؛ لأنه فاسـد الدين والخلق، وصاحب فعال قبيحة، ويقضى يومه عند الزوانى الفاسقات الفاجرات المهلكات، وهنا تصفه بالخنا والفحش.

وعلـى أية حال فإن شـعر «خرنق» مع ضآلة مـا وصلنا منه ووجد متناثرا بين أضابير الكتب ليدلنا على شـاعريتها، وسـعة أفقهـا، ورحابة خيالهـا، وهو مرآة صادقة لمـا كانت عليه من موهبة فذة، وعبقرية تضعها فى مصاف شـعراء العصر الجاهلى، ولا غرو فإنها أخت «طرفة بن العبد البكرى»، وعاشت فى عصر يعدّ بلا ريب من أزهى عصور الشعر، ألا وهو العصر الجاهلى.

■■■